

المحاضرة الثالثة اصول الدعوة المرحلة الثالثة

الفصل الثالث : اخلاق الداعي

أخلاق الداعي هي أخلاق الإسلام

أخلاق الداعي المسلم هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في قرآنه وفصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته، وانصبغ بها صحابته الكرام في سلوكهم. وهي لازمة لكل مسلم، وما عليه إلا أن يعرض نفسه عليها ليزن نفسه في ميزانه ليعلم ما عنده منها وما لم يصل إليه بعد وقد ذكرنا جملة من هذه الأخلاق في فصل سابق، فارجع إليه إن شئت ونريد هنا أن نذكر بعض تلك الأخلاق الإسلامية التي لها صلة وثيقة بعمل الداعي ويحتاج إليها حاجة ملحة تبلغ حد الضرورة إذا أراد النجاح في عمله الطيب المبرور.

أولاً: الصدق

٣٨٠- في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تتحدث عن الصدق وفضيلته وتأمير المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} سورة التوبة الآية: ١١٩، وأنه في يوم القيامة ينفع العبد وينجي من سخط الله ويؤدي به إلى الجنان {هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم} سورة المائدة الآية: ١١٩. وحقيقة الصدق حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه. هكذا قال ابن قيم الجوزية في مدارجه. ويكون في القصد والقول والعمل، ومعناه في القصد كمال العزم وقوة الإرادة على السير إلى الله وتجاوز العوائق ويكون ذلك بالمبادرة إلى أداء ما افترضه الله عليه وفي مقدمته الجهاد في سبيله ومنه الدعوة إلى الله، والصدود عن كل معوق أو مثبط والانصراف عنهم والنفرة منهم لأنهم أناس في غفلة يعيشون ولا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم وهو في حقيقته الجهالة والهوى. والحقيقة أن قلب الصادق شديد الحساسية لا يحتمل هؤلاء المثبتين ولهذا فهو يضيق بهم ولا يستطيع مجاورتهم ولا مصاحبتهم ولا مجالستهم. انه ينشرح صدره ويهش لمن يشوقه إلى الاسراع في سيره إلى الله والدعوة إليه. أما صدق القول، فمعناه نطق اللسان بالحق والصواب فلا ينطق بالباطل اي باطل كان. ويكون الصدق في الاعمال بأن تكون وفق المناهج الشرعية والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا ما تحقق للمسلم الصدق في القول والقصد والعمل أدى به ذلك إلى درجة أخرى في الصديقية وهي التي أمر الله عباده المؤمنين بطلبها، موجهاً جل جلاله الخطاب إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم {وقل ربي ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً} ومعنى مدخل الصدق ومخرجه أن يكون دخول المسلم في أي شيء ومباشرته لأي عمل وخروجه منه وتركه له بالله والله بمعنى أن أفعاله وتركه موصولة بالله وموصلة إليه، مستعنياً على أدائها بالله ومقصوده مرضاه الله فغايبته

هي الله وحده {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين} فإذا بلغ المسلم هذه الدرجة من الصديقية لم يعد في نظره غرض مقبول لرغبته في الحياة إلا إذا كان بقاؤه فيها وسيلة لمرضاة الله فإذا فاتته هذا الغرض أو لم يستطع رغب عن الحياة وأحب الموت.

ثانياً: الصبر

٣٨٢- الصبر من فروض الإسلام. وهو نصف الإيمان. وذكره القرآن الكريم في أكثر من ثمانين موضعاً أمر به {واستعينوا بالصبر والصلاة} ونهيا عن ضده {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم} ومحبة لأهله {والله يحب الصابرين} ومعيته تعالى لهم {إن الله مع الصابرين} وعاقبته خير {وان تصبروا خير لكم} وجزاؤه عظيم {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} وأهل الصبر هم المنتفعون بالآيات والعظات {إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور} وهو سبب لدخول الجنان {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار} وبالصبر اليقين تنال الامامة في الدين {وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} هذا بعض ما في القرآن الكريم عن الصبر. وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة في الصبر، منها "ما أعطي أحد عطاء خيراً له وأسع من الصبر" "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".

٣٨٣- والصبر لغة: الحبس والكف، وشرعاً: هو على ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على المصائب والبلاء.

أما الصبر على طاعة الله، فيكون بالمحافظة عليها دوماً والإخلاص فيها ووقوعها على مقتضى الشرع. ومما يعين على تحصيله المعرفة بالله وحقه على العباد، وحسن الجزاء للمطيعين. وأما الصبر على المعصية فيكون بهجر السيئات والفرار من المعاصي والدوام على هذا الفرار وذلك الهجر ومما يعين على تحصيل هذا الصبر استحضار الخوف من عذاب الله، وأعلى من هذا استحضار الحياء من الله والمحبة له، مع استحضار ثمرة هذا الصبر وهي إبقاء الإيمان وتقويته وإنماؤه لأن المعصية تنقص الإيمان أو تضعفه أو تكدره أو تذهب نوره وبهائه.

أما الصبر على البلاء والمصائب، فيكون بترك التسخط واحتمال المؤلم المكروه وترك الشكوى للناس فإن الصبر الجميل ينافيه الشكوى للمخلوق أما الشكوى لله فلا ينافيه، قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله} وقال عن أيوب {رب إنني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين} مع قوله تعالى عنه في آية أخرى {إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب} ومما يستدعي هذا الصبر استحضار نعم الله التي لا تعد ولا تحصى فتهون على المصاب مصيبتيه ويقل وقعها على نفسه ويكون مثله مثل من يعطى ألف دينار ويفقد فلساً واحداً. ومما يعين أيضاً على الصبر على البلاء تذكر الجزاء العظيم للصابرين.

ثالثاً: الرحمة

٣٩٢- من اخلاق الداعي الضرورية: الرحمة، وقيل أن أبين أهميتها للداعي، أذكر ما ورد في السنة النبوية^[10].

قال صلى الله عليه وسلم: "لا يُرحم من لا يرحم الناس" "لا تتزع الرحمة إلا من شقي" "الراحمون يرحمهم الله تعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" "قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس. فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من لا يرحم لا يُرحم" "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض".

٣٩٣- ومن صفات وأخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم، رحمته وشفقته على أمته قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾. ومن شفقته صلى الله عليه وسلم دلالة لأمته على ما يبعدهم عن النار وقد مثل ذلك بمثل بليغ، قال صلى الله عليه وسلم: "إنما مثلي ومثلي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفرش يقعن فيه، فأنا أخذ بحجزكم وانتم تفتحمون فيه"^[11].

ضرورة الرحمة للداعي

٣٩٤- إن الداعي لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس واردة الخير لهم والنصح لهم. ومن شفقته عليهم دعوتهم الى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى. أن يحب لهم ما يحب لنفسه وأعظم ما يحبه لنفسه الإيمان والهدى، فهو يحب ذلك اليهم أيضاً. إن الوالد من شفقته على أولاده يحرص على إبعادهم عن الهلكة ويتعب نفسه في سبيل ذلك، وأية هلكة أعظم من الضلال والتمرد على الله؟ والداعي بدعوته إنما يسعى لتخليص المتمردين العصاة من الهلاك المحقق والخسران المبين.